لهوى

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني لسنة ٢٠٠٩م

WWW.ATTAWEEL.COM

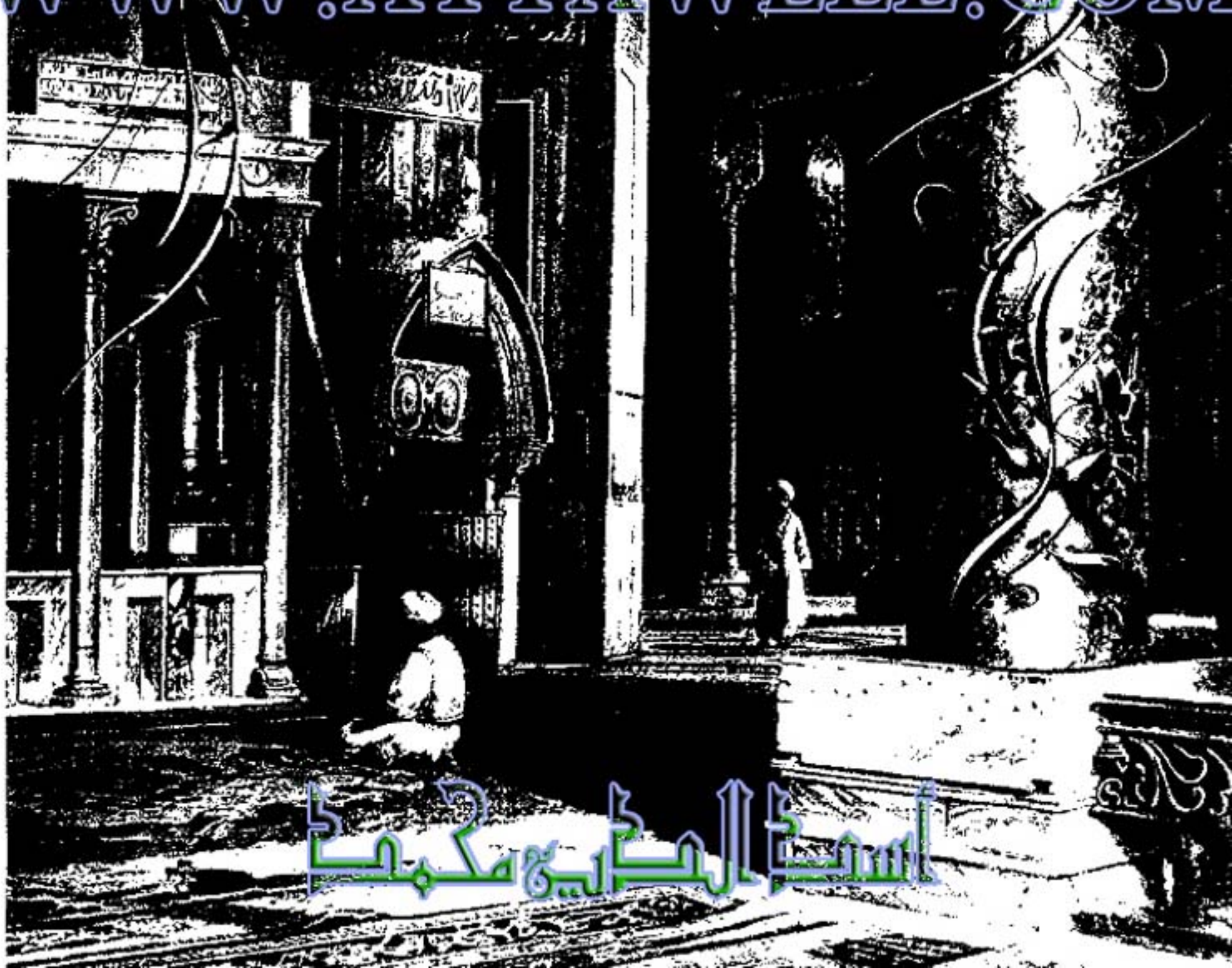

أسعد الحكيم

من مظاهر التحديث في ديالى

وفقا لجريدة الزوراء العراقية ١٨٦٩ - ١٩١٧.

أ . د. طارق نافع الحمداني

جامعة بغداد/ كلية التربية

١.أوجه التحديث ومظاهره في مدن العراق عامة وديالى خاصة

يتناول هذا الموضوع ((محافظة ديالى)) في الوقت الحاضر، التي كان يطلق عليها في حقبة البحث اسم ((قضاء خراسان))، فضلاً عن أقضية اخرى تشكلها المحافظة آنذاك وهي قضاء خانقين. وقد تغيرت أسماء الألوية والأقضية والنواحي كثيراً، حتى صار قضاء خراسان لواء باسم (لواء ديالى)[١].

ونحن ندرس مظاهر التحديث في ديالى لابد من القول إن تغييرات عديدة قد حصلت في هذه المدينة، شأنها في ذلك شأن بقية المدن العراقية الاخرى، بفضل اصلاحات تم اجراؤها في الميادين الادارية، والاقتصادية والاجتماعية، وقد اثرت بشكل أو بآخر في نمط الحياة العامة، ونقلها من حالة التخلف والركود التي كانت عليها الى حالة أفضل في تسيير امور الدولة إداريا، وتقديم خدمات اجتماعية اكثر تقدما. ويدخل في هذا الاطار إنشاء السكك الحديد وخطوط البرق والجسور والمعابر .وكان الأثر الفعال لمثل هذه الخدمات قد تناولته الصحافة، وبالذات الزوراء. باعتبارها الصحيفة الرسمية العثمانية، حيث نشرت اخبار هذه النشاطات التي استغملت في العراق أول مرة.

ومما يجب تأكيده هنا، أن التطور الذي شهدته المدن العراقية آنذاك، لم يأتِ دفعة واحدة، ولم يجر قبوله بسهولة، ذلك لأن المجتمع العراقي وقتئذ كان لا يزال يعيش في تراث الماضي وتقاليده، ولم ينفض عنه غبار الماضي ويتلمس جلابيب الاصلاحات الحديثة، إلا بفضل الضغوط العديدة التي جاءته من المكتشفات الحديثة التي إنتشرت سريعا في العالم، ومن التأثير الغربي الواسع غير المقصود، ومن اجراءات حكومية عديدة[٢]، ابتدأت بمجيء مدحت باشا الى العراق عام ١٨٦٩.

يعد مدحت باشا أول والٍ عمل على إدخال مظاهر التحديث الى العراق في جوانب الحياة المختلفة، لإدراكه أن العراق كان يعيش في عزلة عن تيارات الحضارة الغربية التي تأثرت بها بعض الولايات العثمانية. وتميز الوالي مدحت باشا عن الولاة الذين سبقوه باطلاعه على المشكلات التي عاناها العراق ودراستها، والسعي لوضع الحلول الناجعة لها قبل تسلمه منصب الولاية، لذلك جاءت محاولاته الاصلاحية لوضع قواعد النهضة ودعائم التحديث في العراق، في مرافق الحياة الحيوية[٣].

تناولت اصلاحات مدحت باشا مجالات

WWW.ATTAWIH.COM

مختلفة، ففي مجال الادارة طبق نظام الولاية الذي أصدرته الحكومة العثمانية في عام ١٨٦٤/١٢٨١، وبموجبه اصبحت ولاية بغداد مؤلفة من لواء بغداد نفسه واقضيته، وضمت أقضية خراسان وخانقين، وادخل بموجب النظام الاداري الجديد عدداً كبيراً من الموظفين المدربين الذين حلوا محل اشباه الاميين من البشوات والاغوات، ووضع لكل وحدة ادارية ملاكا ثابتا من الموظفين وثبت واجباتهم لانجاز الاعمال التي كان يزمع القيام بها في العراق[١].

ارسى مدحت باشا الاسس الاولى لعملية التحديث في مجال البلديات والمجالس البلدية، وبنى المدارس مما زاد في نسبة المتعلمين في العراق، وأسس المصانع وأوصى باستيراد عدد من المكائن لتطوير الصناعة، وعمل على تطوير مشاريع الري، واصدر جريدة الزوراء. ولا يمكن لاحد أن ينكر مالهذه الاعمال الاصلاحية من أثر في العراق، وأقل ما يمكن ان يقال فيها أنها هيأت النفوس للاصلاح، ولو سار الولاة الذين جاءوا بعده على منواله لتغير وجه العراق[٢]. لقد تعاقب على العراق بعد عزل مدحت باشا عام ١٨٧٢ ولاة متعددون لم يقم اكثرهم بعمل يذكر، فكانوا ضعافاً في الادارة تعوزهم الثقافة والمعرفة، ولم تعرف سوى أسمائهم، وصار العراق يستقبل الواحد تلو الآخر دونما فائدة تذكر منهم[٣].

ومهما يكن من شيء، فإن هناك عدداً من مظاهر التحديث التي استفادت منها المدن العراقية، ومن بينها ديالى، حيث تركت اثاراً واضحة في حياة المجتمع ونهضته الحديثة، فخطوط البرق (التلغراف) مثلاً قد تم مدها الى العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة للاتفاقات التي جرت بين الحكومتين البريطانية والعثمانية عام ١٨٥٧، والتي أسفرت عن ايصال خط برقي من الهند الى البصرة فبغداد، في قاع نهر دجلة، وتم مد خط مماثل ما بين بغداد واستانبول في حزيران عام ١٨٦١.[٤]

مدت في السنوات القلائل التالية خطوط برق إضافية بين بغداد والفاو، وبين بغداد وخانقين، وبذلك تم وصل المدينة بالهند وفارس. واستمرت عملية ايصال الاسلاك البرقية من بغداد الى بقية مدن الولاية، فأوصل الخط البرقي منها الى مدينة بعقوبة، مركز قضاء خراسان، في عام ١٨٦٩.[٨] ولما كانت ممارسة اعمال النقل بطيئة في العراق عموماً، ولا يمكن الاعتماد عليها كثيراً، فان اتساع نظام البرق الى معظم اجزاء العراق، قد ساعد على تقوية قبضة الحكومة على اموره، وإدخال الاصلاحات الحديثة التي كانت تنوي القيام بها.[٩]

اما بالنسبة للبريد، فلم يعرف العراق وجود خدمات بريدية منتظمة قبل عام ١٨٦٨، اذ كان البريد يعتمد على بريد شركة الهند الشرقية البريطانية، وبريد السعاة المعروفين بالتتارية، الذي يقوم بنقل الرسائل بين بغداد واستانبول. ولكن الحكومة بدأت الاهتمام بأمر البريد، فقامت عام ١٨٦٩ باصدار نظام (ادارة البوسطة الاساسي) الذي نشر في ٢٦ ربيع الآخر ١٢٨٨هـ/تموز ١٨٧١م، وبموجبه شرعت بفتح دوائر للبريد والبرق في مدن العراق المختلفة، وشملت مدن: بعقوبة وخانقين والحلة وشهربان والدليم وكربلاء والديوانية، وهي المدن التي كان قد وصل اليها الخط البرقي آنذاك[١٠].

وشهد العراق ومدنه الرئيسة في مطلع القرن العشرين، استخدام الهاتف (التلفون)، اذ ربطت

مدينة بغداد بمدينة الكاظمية بالهاتف عام ١٩١٢، ثم جرى مد اسلاك للهاتف بين بغداد ومدينة بعقوبة، مركز قضاء خراسان[٥].

وفي الوقت الذي سارت فيه الخطوط البرقية(التلغراف) والملاحة النهرية والبحرية على خير ما يرام لربط اجزاء العراق المختلفة وتسهيل السير فيه، فإن خطوط المواصلات الاخرى قد أصابها التعثر، فمن المعروف أن الطرق في العراق، باختلاف المناطق، كانت مهملة وغير مكسوة، وتغرق عمقاً في أتربة الصيف، وتفيض فتتحول الى بحار من الوحل، بسبب الامطار او فيضان القنوات، وغدت سكك الحديد اكثر قبولاً باعتبارها من الوسائل العملية في هذه البلاد.

ولقد طرحت مشروعات مختلفة منذ خمسينيات القرن التاسع عشر لمد خطوط حديد من البحر المتوسط الى العراق، او حتى الى الهند، ولكنها لم تكن مشروعات اقتصادية، فصرف النظر عنها.[٦] ومع ذلك، ففي سني الثمانينيات من القرن التاسع عشر، تألفت شركة محلية لمد خط حديد بين بغداد وخانقين، بالوسائل المحلية المتوفرة، الا ان عدم توفر رأس المال اللازم قد حال دون تحقيقه، ولم يكن المشروع الذي خلفه في سنة ١٨٩٠ أحسن حظاً.[٣]

ومع تعثر مشاريع سكك الحديد في العراق، فإن خدمات النقل القديمة ظلت قائمة فيه، بين بغداد ومدنها إذ بدأ ظهور العربات البرية المعتادة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، وكان هناك خط عربات (تجرها الخيل) منتظم بين بغداد وبعقوبة، وبين غرب بغداد وسامراء، وهذه الخطوط تعتمد اساساً على حركة الحجاج الكثيفة.[٧]

ومن وسائل الانتقال المهمة في ولاية بغداد، دواب الحمل، كالبغال والجمال، التي كانت تسلك طرق القوافل المهمة التي تربط بغداد بكرمنشاه وهمدان، مارّة بمدن بعقوبة وخانقين وقصر شيرين. ويمر على هذا الطريق، كما يقول عيساوي، ما يقرب من (٥٠) ألف حمل جمل و(٤٠) ألف حمل بغل الى كرمنشاه خلال العام، وتتجه حمولة (١٠) الاف حمل فقط الى خانقين: وحمولة (٣) الاف الى قصر شيرين.[٩]

ومما يذكر هنا، أن مدحت باشا قد أوجد في أثناء ولايته للعراق (دائرة النافعة) لتكون مسؤولة عن الطرق والمعابر في العراق. الا أن هذه الدائرة كانت قد ألغيت بعد مغادرة الوالي مدحت باشا لبغداد بأقل من شهرين وقد خلت ولاية بغداد طوال السنوات الواقعة بين عامي ١٨٧٢ و١٩٠٦ من وجود أية دائرة متخصصة تقوم بتنفيذ المشاريع العامة كالطرق والجسور ووسائل الاتصالات الاخرى ومشاريع الري، لذلك عهدت الى دائرة البلديات للقيام بهذه المهمات[١١] الا ان الملاحظ، ان هذه الدائرة لم تقم بأعمالها بصورة مرضية، وبخاصة في مجال انشاء الجسور في ولاية بغداد وأقضيتها، ومنها قضاء خراسان. ففي اثناء مروره بمدينة بعقوبة عام ١٩١٤، وصف لنا هيو بارد Hubbard، جسر بعقوبة العائم بقوله: ((في طريقي من بغداد الى (ارارات) مررت ببعقوبة حيث وجدت ما يثير إشمئزازنا، ذلك لان الجسر العائم لم يكن ليسمح بمرور العربات (ذات العجلات) ولذا وجب علينا ان نغير سير العربة، ونعبر نهر ديالى بواسطة (قفة). وفي الجانب الآخر من النهر وبعد مسيرة ميل وجدنا عربة اخرى بانتظارنا، لاستبدال

عربتنا))[٣].

وهكذا يظهر لنا من هذا الوصف، طبيعة جسر بعقوبة (جسر الطوافات او العوامات) الذي كان ضعيفا لا يسمح بمرور عربات النقل ذات العجلات. ويشير الأمر الى تقصير إدارة البلديات في العراق، في بناء الجسور الحديثة الكافية لعمليات النقل البري.

ومن الامور الحديثة التي جرى إستخدامها في العراق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الكيروسين اذ بُذلت محاولات (زمن مدحت باشا) للاستفادة من رواسب النفط حول مندلي، وذلك باعداد مشروع لتصفيته في بعقوبة سنة ١٨٧١. إذ كان يتم استخراج (الكيروسين) بالوسائل المحلية المتاحة، وكان يكلف البلدية ٦٧٠ بارة للقية، ومع ذلك فقد حل تدريجيا محل زيت الزيتون في الأسواق إذ جرت العادة على استخدامه من قبل كما أصبح في مكاتب الادارة وغيرها. ونتج عن ذلك الاستغناء عن الكيروسين الامريكي، وأصبحت كل مدينة تستخدم مصابيح الكيروسين.[٤]

ومع أهمية الزراعة والري في تحديث العراق، إلا أن المشاريع في هذين المجالين ظلت قاصرة. إذ أن أية خطة قد ترسم لتطويرهما لا تكون ناجحة بدون السيطرة على المياه، واطلاقها وتوزيعها، وموازنتها مع الاراضي الموجودة. ولم يكن الولاة العثمانيون في العراق يدركون مثل هذه القاعدة العملية السليمة، مما جرّ البلاد الى كثير من الكوارث والنكبات، بخاصة وانه لم تكن هناك (محطات قياس) لمعرفة كميات الماء في الانهر وتصريفها عند مدينة بغداد. وكانت أول (محطة للقياس) قد أنشأها السير وليم ويلكوكس عام ١٩٠٦ في منطقة دار القنصلية البريطانية في الضفة اليسرى لنهر دجلة، بعد ذلك تعاقبت عملية بناء محطات القياس لارتفاع مناسيب المياه في اماكن مختلفة من دخول مياه نهري دجلة والفرات في العراق. وعلى الرغم من أهمية الفيضان واخطاره في العهد العثماني، فإن الولاة العثمانيين لم يقوموا بعمل جاد لدرء خطر الفيضان سوى تقوية السدود وبطريقة السخرة، وبطرق بدائية ومواد بسيطة كالتراب والخشب.[٥]

ومن الفيضانات التي تعرضت لها بعقوبة ولم يتمكن الولاة العثمانيون من إيقافها ما حدث عام ١٨٨٤، إذ كتبت جريدة الزوراء في عددها ١١٥٦ نيسان ١٨٨٤ ((وفي الوقت نفسه طغت مياه نهر ديالى فاغرقت مناطق بعقوبة وبهرز والهويدر ونواحيهم [كذا]))[٦]

ولعل من أخطر الفيضانات التي تعرضت لها بعقوبة، ذلك الذي حدث عام ١٩٠٧ في عهد الوالي أبو بكر حازم (١٩٠٧-١٩٠٨) حيث قالت الزوراء:

((فاض نهر ديالى فيضانا لم يسبق له مثيل فصارت المياه تجري في نهري دجلة وديالى حتى استولت على الاراضي في أطراف البلد فاحاطت بجوانبها الثلاثة، فابتدر من جهة محافظة البلد بتحكيم السداد الموجودة وهي من تراب، وسورع من الجهة الاخرى لتعمير المحال المنخرمة من الاسداد التي في طرفي دجلة وسدها بغاية الاهتمام، والضرر في قضاء خراسان من فيض هذين النهرين مرة وهو امر طبيعي، فلذلك اعطيت الاوامر الاكيدة الى من يلزم تبليغه بايثار المعاونة اللازمة الى اهالي تلك الانحاء، أما المياه المستولية على طريق القضاء المذكور فقد صارت مانعة للمرور والعبور وخربت أسلاك البرق)).[٧]

أما عن الخسائر الناجمة عن ذلك الفيضان فقد كتبت جريدة الزوراء:[٨]

((أمطرت السماء في قضاء الخالص لمدة ٤٨ ساعة ثم ثارت عاصفة فانحدر سيل من نهر ديالى فانهدمت ديار كثيرة واحاط الماء قرية (الهويدر) وبساتين أطراف بعقوبة، وارتفع الماء على كافة بساتين وقرى (خرنابات) و(شفتة) و(بهرز) وانقطعت الطرق، وخرب في قرية (دلي عباس) مائة مسكن، وفي ناحية (شهربان) اربعون داراً، وفي قرية (أبو صيدة الكبير) ثمانون مسكنا وبقيت بساتينها تحت الماء، وخربت ديار كثيرة من ديار (الزهيرات) و(العواشق) و(ابو صيدا الصغير) و(المخيسة) و(بلدروز)، وتفرقت العشائر الساكنة تحت الخيام، وانهدم صدر جدول (بلدروز) واستولت مياه ديالى على قسم من مزارع الهارونية وشهربان والاسيود، فاتلفت المواشي والاغنام، وبسبب فيضان نهر ديالى فاض الماء في النهروان حتى صار كنهر ديالى وانهدم في قرية تيل تاوه (قضاء الخالص حالياً) مساكن كثيرة)).

٢ـ جريدة الزوراء مظهر من مظاهر التحديث.

كانت الزوراء أول جريدة صدرت أيام ولاية مدحت باشا في العراق سنة ١٨٦٩، وقد ظلت الجريدة الرسمية لولاية بغداد الى الاحتلال البريطاني لهذه المدينة عام ١٩١٧.

ومن قراءة الاعداد الاولى للجريدة يلمس القارئ أن مدحت باشا لم يصدرها دونما هدف، وانما كان يروم تثقيف الشعب، وتنبيهه الى ما يروم القيام به من اصلاحات حديثة، وما يجب على الشعب عمله.

صدر العدد الاول من الزوراء يوم الثلاثاء في الخامس من ربيع الاول من عام ١٢٨٦هـ/الموافق الخامس عشر من حزيران عام ١٨٦٩، باللغتين العربية والتركية. وقد نشرت في هذا العدد صورة الفرمان العالي لتولية مدحت باشا ولاية بغداد، الذي ألقاه في (سراي الحكومة)، وأطلع سامعيه على أنه جاء برغبة مخلصة لإفادة البلاد وإثراء السكان، وإدخال العديد من التغييرات والإصلاحات التي يرجو نفعها، والتغييرات التي قد لا تكون موضع موافقة في بداية الأمر، ولكنها قد تصبح موضع التقدير عندما يدرك الناس النفع الذي يعود عليهم من ورائها.[٢]

وفي هذا الفرمان يصف الوالي حالة العراق وتأخره، وما وصلت إليه الحال والى فطنة أهله وشهرتهم فيقول: ((وهنا الاراضي تقبل كل نوع من العمارة والاهلون لانقون لكل تعليم، وفطرتهم معلومة واستعدادهم مشهور، فيستطيعون اكثر من غيرهم التقدم، لينالوا حظاً من الثروة والحضارة، لكن الخراب المستولي، وعدم النشاط ناجم عن تقصير الأهلين، ونأمل أن نصل الى الغاية المطلوبة فنرى الاثار النافعة وثمار المساعي في أقرب مدة)).[٣]

وهناك شعور عميق بالتخلف عن الأمم الاخرى، وضرورة الاسراع في التقدم لمسايرة ركب الحضارة، بخاصة في مجال الزراعة والتجارة، كما يقتضيه العصر، حيث يقول:

((ما أعجب الحال وما أغرب هذه الاحوال ان قوة إنباتية أراضي الحنطة العراقية التي هي فوق العادة حال كونها قد حيرت العقول، وملأت بطون صحايف التواريخ وازهرت في آفاق العالم كالمريخ، فنحن الى الآن نروم خفض هذه الشدة المرتفعة ونريد ان نبقى بلا إسم ولا شهرة. والى الآن نستعمل الالات الباقية من عهد نوح ومع هذا فلا يمر بخيالنا أمر تكثير زراعتنا ولا يسري بخاطرنا توسع دائرة تجارتنا وتوفرها.

عجبا ما هي الأسباب الموجبة لنقص مملكتنا

عن درجة الاقطار السائرة، وما هي الامور المجبرة لتدني زراعتنا يوماً فيوماً، هل أنها [كذا] لا تحتوي على الاراضي القابلة للحرث والزرع؟ أم ليس فيها ما يروي مزارعها؟ فأن أجبنا عن أحد هذين السؤالين قلنا ليس عندنا أراضي [كذا]، فان الاراضي الخالية الوسيعة التي قد إمتلأت التواريخ في ذكرها، والتي هي اليوم تُصب أعيننا، القابلة لكل نوع من أنواع الزروع تكذبنا // واذا قلنا ان مياهنا لا تروي مزروعاتنا فان نهري دجلة والفرات الشاهدان العادلان [كذا] الجاريان في وسط مملكتنا يكذبان مدعانا هذا .....

فالان الشيء الواجب علينا، والامر الموجب لترقيتنا انما هو ترك البطالة والعطالة والتشبث بأسباب الترقيات، ووضع آثارها في ميدان العيان)).[15]

وهكذا نلاحظ كيف كانت الزوراء تلفت أنظار المواطن العربي الى أنه في بلد متخلف برغم تقدمه ووفرة إنتاجه في الماضي، وخصوبة أراضيه ووفرة مياهه، وعليه يجب نبذ الإهمال والأخذ بأسباب التطور والتقدم.

نبه الفرمان العالي بصورة صريحة الى حالة أوربا وتقدمها، ودعا الى السير وراء أوربا، لانها سبقت الشرق بثلاثة قرون أو أكثر، وكانت الزوراء تنشر فعلاً كثيراً من الأخبار عن معالم الحضارة والتقدم في العالم، لتنوير افكار الناس وتنبيههم على ما هم عليه.

والأهم من ذلك كله، أن الزوراء كانت تنشر على صفحاتها شؤون الولاية واحداثها، والقوانين والانباء الرسمية والبراءات السلطانية، حتى استفاق الناس بأن هناك حكومة وقوانين، وهناك اصلاحاً فعلياً، فلابد والحالة هذه ان توقظ هذه الدعوات والتوجيهات انظار الناس بعد فترة السبات الطويل الذي كانوا عليه، وان يتطلعوا نحو الاحسن في حياتهم.

(٣). مظاهر التحديث في ديالى وفقاً لما نقلته جريدة الزوراء:

من المعلوم أن جريدة الزوراء كان لها مراسلون ومدراء تحرير في مناطق العراق المهمة، وكان هؤلاء يمدون الجريدة بمعلومات المناطق التي يوفدون إليها أولاً بأول. فقد ورد عن أحد مدراء تحرير جريدة الزوراء في خانقين الأتي:

((... ان وظيفة مكلفية مدراء التحريرات وكتابها الموجودين بالامور التحريرية في الالوية والاقضية باعطاء الوقوعات والحوادث المحلية لجريدتكم المعتبرة هي معلومة، فبناء على هذا الاساس ها انا أبدأ بمكتوبي هذا لاعطاء الحوادث المحلية...)).[16]

والملاحظ ان قائم مقامي الاقضية آنذاك كانوا يسهمون في تسجيل أسماء المشتركين بجريدة الزوراء، إذ جاء في العدد ١٤٢٧:

((نشكر قائم مقام قضاء مندلي ذا العزة راشد بك افندي على ما أسداه، ونذكر بلسان الثناء ما أبداه من إستحضار ثلاثة وثلاثين شخصاً مشترين لجريدتنا وإرسال ورقة اسمائهم لمطبعتنا، اذ علم أن دوام إنتشار جريدة الولاية في حالة تستوجب الافادة العمومية يتوقف على تكثير المشترين فبذل في ذلك همته واثر اعتنائه وغيرته)).[17]

وليس ذلك فحسب، انما اوردت الزوراء - في اماكن مختلفة - إشارات لقيام قائم مقامي الأقضية بجمع بدلات إشتراك المواطنين في جريدة الزوراء، مما استدعى إظهار الشكر لهم، إذ جاء فيها:

((نشكر همة مصطفى سالم أفندي، قائم مقام

قضاء خانقين، المبذولة في جمع بدلات جريدتنا عن السنة الحالية من أصحابها وإرسالها بتمامها الى مطبعتنا. ولا ريب في أن صنيعه هذا الجميل دلل على حبه للمعارف، هذا ونرجو بصورة جدّية من قائم مقامي الأقضية السائرة ان يبذلوا همتهم)).[١٨]

ومثل هذه النشاطات التي كان يقوم بها قائممقامو الأقضية، أدت الى زيادة عدد قراء جريدة الزوراء، وكانت مثل هذه الزيادة مثار اهتمام محرري الجريدة، إذ جاء في احد اعدادها:

((بينما كان المشترون لجريدتنا في قضاء مندلي منذ كم سنة بقدر ثمانية عشر اذ قد فهم ان مشتري الزوراء بهذه السنة بلغوا ستة وثلاثين مشترياً، وذلك بهمة قائممقام القضاء ذي الرفعة عارف افندي)).[١٩]

وتساءلت الجريدة: ((وما هذا الشوق والرغبة الا من مزيد عرفان الأهالي بقدر أوراق الحوادث واهميتها، فنحن بالخاصة نشكر رغبة الأهالي في هذا الباب)).[٢٠]

هذه هي جريدة الزوراء الرسمية، وهي تعكس لنا المرحلة التي كانت تعيشها البلاد آنذاك، إذ كانت تنقل اخبار المناطق المختلفة وحوادثها. فعندما كانت أسراب الجراد تغزو أطراف العراق وتلحق افدح الخسائر بالمزروعات فإن الزوراء كانت تنقل اخبار هذه الآفة، والجهود الحكومية المبذولة في هذا الشأن، مشيرة الى استخدام (التلغراف) كاحدى الاختراعات الحديثة للابلاغ السريع، عن هذه الآفة في أقضية مندلي وخانقين وغيرها.[٢١]

ولما كانت سكك الحديد من مشاريع التحديث التي جرى العمل بها في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد روجت الزوراء لمثل هذه المشاريع وفائدتها العامة، وبخاصة في مجال النقل أو التجارة، كما حصل الأمر في أوربا، إذ جاء فيها:

((طرق الحديد كما هو عند كل احد معلوم وباي قدر ما تكون طرق الحديد زايدة في ملك فانه يترقى في التجارة والثروة، وهذا أمر غير موهوم. واذا جعل أمام نظر المطالعة أن طريق الحديد قد قصر جملة من الطرق الطوال البعيدة، فانما يتعين ان الواردات التجارية والاخذ والعطاء قد كسبت السهولة باي درجة وان طرق الحديد في أوربا صادف ممرها في أكثر الاحيان جبالاً وتلالاً واودية وازالة ..ولم يحصل التأخر والاحجام عن ايصالها الى النقطة المطلوبة...أما طرقنا فهي مستوية للغاية وليس عندنا في غير العمليات الترابية جبال تخترق ولا لنا أودية تدفن)).[٢٢]

وفي الوقت نفسه، فقد ثبتت الزوراء تفاصيل العمل بمشروع سكة الحديد التي تصل بين بغداد وكربلاء والنجف من جهة، وبينها وبين خانقين من جهة أخرى من قبل "شركة محلية"، والجهود التي بذلها الوالي العثماني آنذاك (عبد الرحمن باشا)، من أجل ارساء المقاولة على هذه الشركة المحلية، التي تعهدت القيام بمد السكة من بغداد الى المناطق المذكورة على شكل مراحل، على ان تعلق شعبة بغداد - خانقين)، الى حين الانتهاء من الشعب الاولى.[٢٣]

واستكمالاً لتطوير مشاريع النقل والمواصلات فقد نقلت لنا الزوراء الاجراءات، لتنظيمها وتسييرها. فمن جهة جرى تنظيم تجارة

الترانزيت(المرور) التي كانت تمر بخانقين الى فارس، وضبط الرسوم الكمركية المفروضة على هذه التجارة في كمرك خانقين. (كمرك الحدود) والتي كانت تقدر بـ ٧٪، لتكون معلومة لدى الجميع.[٩]

وهكذا نلاحظ أن بعضاً من مظاهر الحياة في العراق عامة، وديالى خاصة، قد جرى العمل على تحديثها نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت جريدة الزوراء- الجريدة الرسمية الواسعة الانتشار- تنشر كثيرا من هذه المظاهر، ومن معالم الحضارة والتقدم في العالم، مما كان له أكبر الأثر في تغيير النظرة الى التحديث في العراق.

والهوامش

(١) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد،١٩٥٥) ج٧، ص١٦٩.

(٢) ستيفن هيملسي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي(الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٨) ج١ ،ص٤٢.

(٣) نمير طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤، ص١٢٨.

(٤) حسين الرحال وعبد المجيد كمونة، الادارة المركزية والادارة المحلية في العراق، (مطبعة عبد الكريم زاهد، بغداد، ١٩٥٣) ص٥٣.

(٥) الدكتور عناد اسماعيل الكبيسي، الادب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين(مطابع النعمان، النجف الاشرف،١٩٧٢) ص٣٧.

(٦) منير بكر التكريتي، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية من ١٨٦٩ - ١٩٢١(مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩) ص١٢.

(٧) نابليون الماريني، تنزه العباد في مدينة بغداد (المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٧) ص٥٦، انظر ايضا: الدكتور جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد في عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩ - ١٩١٧ (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١) ص٤٢٥.

(٨) جريدة الزوراء العدد ١٢ المؤرخ في ٢٢ جمادى الاولى ١٢٨٦هـ/الموافق ١٩ آب ١٨٦٩، انظر ايضا: النجار، المصدر السابق، ص٤٢٧. ومما يذكر ان خطوط الاتصال البرقي بين بغداد ومدن اخرى في ديالى قد تمت ما بين ١٨٧٥ و١٨٩٣، وشملت شهربان ومندلي ايضا. المصدر نفسه، ص٤٢٧.

(٩) لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج١ ،ص٦٥.

(١٠) النجار، المصدر السابق، ص٤٢٨-٣٩، عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق (مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣) ص١٤٦.

(١١) النجار، المصدر السابق، ص٤٤٢.

(١٢) شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب، ترجمة رؤوف عباس حامد (بيروت،ط١، ١٩٩٠) ص ص٢٤٠ -٢٤١.

(١٣) لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج١ ،ص٦٣.

(١٤) عيساوي، المصدر السابق، ص٢٤١، انظر ايضا: ريجارد

كوك، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل(مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧) ج٢ ،ص١٦٨.

(١٥) المصدر السابق، ص٣٤١.

(١٦) النجار، المصدر السابق، ص ص٤٤٩. ٤٥٠.

(١٧) G.E.Hubbard, From the Gulf to Ararat :an expedition through Mesopotamia and Kurdistan (william Black wood and sous Edingurgh and London, 1916),p. 116,159.

(١٨) عيساوي، المصدر السابق، ص٦٧٢-٤٠٠، انظر ايضا: لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج١ ،ص٥٥.

(١٩) محمود شوقي الحمداني، لمحات عن تطور الري في العراق قديما وحديثاً (مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٨٤) ص٦٥.

(٢٠) للتفاصيل عن هذه الاحداث انظر: حسان ناجي محمود الحديثي، تاريخ الري في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص٢٨.

(٢١) جريدة الزوراء، العدد٢١٢٢ في ٢٢ صفر ١٣٢٥ هـ.

(٢٢) العدد ٢١٢٣ في ٢٩ صفر ١٣٢٥ هـ.

(٢٣) عيساوي، المصدر السابق، ص١٨٧.

(٢٤) أورد هذه النصوص التكريتي، المصدر السابق، ص٧٩.

(٢٥) الدكتور يوسف عزّ الدين، فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث(معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠)، ص ص٢٥-٢٧، حيث نقل لنا بعض نصوص جريدة الزوراء في عددها الأول.

(٢٦) جريدة الزوراء، العدد ٨٨١ الثلاثاء ٢٧ محرم ١٢٩٦ هـ.

(٢٧) جريدة الزوراء، العدد ١٤٢٧ السبت ٢١ شعبان ١٣٠٧هـ.

(٢٨) المصدر نفسه، العدد١٨١٢ الاربعاء ٨ ذي القعدة ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٩/٤/١٩م. هذا وقد وردت نفس صيغة الشكر المرفوعة من تحرير جريدة الزوراء الى قائممقامي قضاء خراسان وخانقين لقيامهما بجمع بدلات هذه الجريدة. انظر الاعداد ١٧٦٩ ٢٠ذي الحجة ١٣١٥هـ الموافق١٨٩٨/٥/٤م والعدد١٨٢٣ الاربعاء في ٢٢ جمادى الاولى ١٣١٧هـ الموافق ١٨٩٩/٩/٢٧م.

(٢٩) جريدة الزوراء العدد ٧٦٦ السبت ٢٨ جمادى الاخرة ١٢٩٥هـ.

(٣٠) جريدة الزوراء العدد ٤٥٧ الثلاثاء جمادى الاولى ١٢٩١

(٣١) المصدر نفسه، العدد ١٢٢١ الثلاثاء ١٩ شعبان ١٣٠٢ هـ.

(٣٢) المصدر نفسه، العدد ٨٦٥ الثلاثاء ٢٠ شوال ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م.

(٣٣) جريدة الزوراء العدد٨٦٥ الثلاثاء ٢٠ شوال ١٢٩٦هـ/ الموافق١٨٧٨م.

(٣٤) المصدر نفسه، العدد ١٠٠٩ السبت ٢ جمادى الاولى ١٢٩٩هـ/ والعدد ١٢٢٣ السبت ٢٥ ذي القعدة ١٣٠٢هـ.